وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــــة تكريت
كلية العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

المرحلة : الدكتوراه
المادة : الفكر الإسلامي
محاضرة : مراحل الفكر الإسلامي ٣

المرحلة الخامسة : مرحلة النهضة .

محاضرة للأستاذ الدكتور : محمد هادي شهاب

النهضة هي إحياء التراث الاسلامي الأصيل ، وتحديد واقعه الفكري المتدهور عن طريق نشر الفكر الاسلامي ، وإحياء علومه .

تظهر حقيقة النهضة في مرحلة التجديد ، عند النهوض الحضاري للأمة بعد سقوطها ، فما أن يقع الناس في غياهب الظلمات ، حتى يرسل الله تعالى اليهم من ينير لهم طريقهم ، ويصلح ما فسد ، ويقوّم ما اعوج من الواقع .

فالعرب قبل البعثة كانوا في ضلال مبين ، وعلى هذا الأساس أرسل الله سبحانه نبيه وحبيبه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم. قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ ([1])

ولقد اختار الله تعالى أمة الاسلام المحمدية من دون الأمم لتحمل راية الاصلاح قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ

([1])سورة الجمعة ، الآية : ٢ .

ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ ([٢]) من أجل إصلاحهم والنهوض بهم .

فهذا من اسمى مظاهر النهضة ما دمنا نأمر بالمعروف وننهى عن النكر ونؤمن بالله تعالى ، وعلى هذا الاساس لن تتوقف الأمة عن المضي قدما الى الصلاح والاصلاح . ([٣])

ومن بين العلماء العاملين في هذا المجال الدعوي والمعرفي ممن اشتغلوا على مشروع النهضة الاسلامية : الإمام سعيد النورسي والأستاذ مالك بن نبي رحمهما الله تعالى .

أما النورسي ، فقد اعتمد في مشروع النهضة الإسلامي على العودة الى القرآن الكريم كركيزة اصلاحية لا مناص منها ، فضلاً عن استحضار التأسي بالشخصية المحمدية ، ومن هنا انطلق الامام النورسي ليؤسس فكراً تربوياً نهضوياً بعيداً عن فنون السياسة وآفاتها حتى عام ١٩٦٠ ، حيث أنتج جيلاً نهضوياً غايته رفعة الدين ونصرة عقيدته ، بعد ذلك اشتغل رحمه الله على الاعتماد المنطقي على المقاربة بين القرآن الكريم والآيات الكونية ، فضلاً عن الردود العلمية ضد الشبه الفكرية التي اثارها أعداء الدين ، وفي الجانب التربوي اعتمد الأساليب التربوية المتمثلة بعلم التزكية والأخلاق والتصوف ، حيث ذبَّ عن الاتهامات التي وصم بها كبار الصوفية ، كمحي الدين بن عربي ، مشيراً الى أن المنتقدين لم يفهموا اللغة الإشارية التي غابت عن أفهام الكثيرين ، وأخذ يبعث الهمة للوصول الى المعرفة الإيمانية .

([٢])سورة آل عمران ، الآية : ١١٠ .

([٣]) ينظر : اتجاهات فكرية معاصرة ، محمد هادي شهاب / ٣٠ .

يقول الدكتور رعد شمس الدين الكيلاني : إن ثقافة النورسي ارتبطت بثقافة عصره التي تقترب من التصوف في الكثير من المفاهيم ، فهو يؤمن مثلاً بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم ، في الصحوة بعد موته عليه الصلاة والسلام ، كجلال الدين السيوطي مثلاً ، يعني انه يؤمن بمفاهيم تحققت مع الامام السيوطي .

ويؤمن بوجود عالم المثال ، وهو حال نفسي يمر به الانسان ، يطابق شخوص الواقع لكنه في عالم الغيب ، وهذا الحال الذي لازم الامام النورسي يعبر عن نفسه الراقية المترفعة عن الطعن أو الاعتداد بالنفس . (٤)

لقد اكتمل مشروع النورسي في اطار الوحدة الاسلامية القائمة على احترام الآراء والعودة الى منهج الرحمة والمحبة مع الآخرين .

وأما مالك بن نبي رحمه الله ، فقد دعا الى نهضة الأمة الإسلامية معتمداً على طروحاته التي تقضي بأن يعيش المسلمون بعقلية واقعهم المعاصر ، وليس بعقلية الزمن السابق ، وعدَّ هذا الأمر من أهم شروط بناء المجتمع الاسلامي ، والذي عبَّر عنه بمنح الزمن قيمته المثلى .

وقد ذكر هذه الشروط الكاتب محمود رأفت ، وهي : بناء الإنسان ، والمحافظة على المكان ، وإعطاء قيمة للزمن ، وهي شروط لم تتوفر لدى العرب والمسلمين ورغم انتقاد بن نبي للغرب ووجهه الاستعماري، وكشفه خلفيات الصراع الفكري مع الغرب الرامي إلى تعطيل المشروع الحضاري الإسلامي، فإنه أنصف الغرب في أحكامه، فلم ينكر دوره

---

(٤) ينظر : الكلمات ـ رسائل النور ـ ، سعيد النورسي ، ترجمة : احسان الصالحي ، دار سوزلر ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٥م / ٥٦٢ . وينظر : الفكر الاسلامي النشأة والتطور والتحديات المعاصرة ، د. رعد شمس الدين الكيلاني ، دار الأندلس ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٧ / ١٢٠ .

وإسهامه في البحث العلمي وتوفير أسباب الراحة المادية للبشرية، ولم يرَ مانعًا من التعاون مع الغرب على قاعدة الاحترام المتبادل (٥)

لقد جاء مشروع مالك بن نبي بالنهضة الحديثة بعد أن شخص مرض الأمة ووضع لها العلاج الأمثل ، وذلك عن طريق تركيب عناصر ثلاثة حددها بنفسه .

وهي : ـ أ. الإنسان . ب . التراب . ت . الزمن .

وسنتكلم عن كل عنصر من عناصر الحضارة كما يأتي : (٦)

(أ) " الإنسان " :

يحدد مالك الانسان كعامل بارز في صناعة الحضارة ، فبتحركه يتحرك المجتمع وتتبلور رؤى التأريخ ، والعكس صحيح ، والانسان العنصر الاول : يعطي العنصرين الآخرين القيمة الحضارية والتاريخية بتفاعله مع العناصر المادية التي يتضمنها التراب ، وقبل كل شيء فإن الانسان هو الزارع الاول لشجرة الحضارة ، غير ان الانسان اخذ يعاني من الجمود والخذلان عن مواصلة ركب الحضارة الانسانية ومن خلال نظريته هذه فإن مالكاً يحدد رجالا يمشون في التاريخ مستخدمين التراب والوقت والمواهب من اجل بناء اهدافهم الكبرى .

---

(٥) ينظر : مقال بعنوان : مالك بن نبي وسبل نهضة العالم الإسلامي ، للكاتب محمود رأفت ، منشور على النت ، موقع نون ، بتاريخ ٣٠ سبتمبر / ٢٠١٥ .

(٦) ينظر : اتجاهات فكرية معاصرة ، محمد هادي / ٣١ ـ ٣٥ . نقلاً عن : شروط النهضة ، مالك بن نبي ، إشراف ندوة مالك بن نبي ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٨٦ ./٨١ ـ ٨٤ .

ويرى مالك رحمه الله إن الانسان في القرن العشرين يستطيع ان يؤثر في المجتمع بمؤثرات ثلاث وهي : الفكر والعمل والمال ، فإنه من الواجب ان يلاقي توجيها يضمن له تأثيره الايجابي في الحضارة .

والتوجيه ـ عند مالك ـ هو : " قوة في الأساس, وتوافق في السير ووحدة في الهدف؛ فكم من طاقات وقوى لم تستخدم لأننا لا نعرف كيف نكتّلها, وكم من طاقات وقوى ضاعت فلم تحقق هدفها , حين زاحمتها قوى أخرى صادرة عن المصدر نفسه متجهة إلى الهدف نفسه ، فالتوجيه هو تجنب هذا الإسراف في الجهد وفي الوقت, فهناك ملايين السواعد العاملة العقول المفكرة في البلاد الإسلامية صالحة لأن تُستخدم في كل وقت, والمهم هو أن ندير هذا الجهاز الهائل في أحسن ظروفه الزمنية والإنتاجية لكل عضو من أعضائه. وهذا الجهاز حين يتحرك يحدد مجرى التاريخ نحو الهدف المنشود, وفي هذا تكمن فكرة توجيه الإنسان الذي تحركه دفعة دينية, وبلغة علم الاجتماع : الذي يكتسب من فكرته الدينية معنى الجماعة ومعنى الكفاح."[1]

(ب) التراب :.

أما عنصر "التراب" فيعني به مالك الإمكانات الطبيعية أو الوسائل المادية اللازمة لتكوين الحضارة. وهو يتكلم عنه من حيث قيمته الاجتماعية والتي تُستمد من قيمة مالكيه؛ فحينما تكون الأمة مرتفعة وحضارتها متقدمة يكون التراب غالب القيمة, وحيث تكون الأمة متخلفة يكون التراب على قدرها من الانحطاط, وهذا هو حال التراب في أرض الإسلام اليوم, بسبب تأخر القوم الذين يعيشون عليه. فها هي رمال الصحراء

(١) ينظر : المصدر السابق .

تغزو الأراضي الخضراء على امتداد البلاد الإسلامية ونحن نقف إزاء هذا الغزو موقف الضعيف الجبان؛ فنقوم بالفرار من هذه الأراضي إلى غيرها بدلاً من أن نبحث عن حل عملي نواجه به تلك المشكلة التي تهدد كياننا. مع أن الحل يسير لا يحتاج سوى أن ننتصر على أنفسنا الخاملة الكسولة فنقوم بغرس الأشجار لنوقف غزو الرمال على أراضينا, مثلما فعلت فرنسا وروسيا وهولندا من قبل. وعندئذ نكون قد انتصرنا على أنفسنا وعلى أهوال الطبيعة. ونكون قد أخضعنا التراب ومهدنا فيه لحضارتنا, ولم نعد نخاف نوائب الزمن . (٧)

(ت) "الزمن" : يصفه مالك بأنه نهر قديم يعبر العالم, ويروي في أربع وعشرين ساعة الرقعة التي يعيش فيها كل شعب والحقل الذي يعمل به. ولكنه نهر صامت حتى أننا ننساه أحياناً, وتنسى الحضارات ـ في ساعة الخلوة أو نشوة الحظ, قيمته التي لا تعوض. كما هو الحال في العالم الإسلامي الذي لا يدرك قيمة الوقت, ولا يعرف الآن فكرة (الزمن) الذي يتصل اتصالاً وثيقاً بالتاريخ, مع أن فلكيًّا عربيًّا مسلماً هو أبو الحسن المراكشي يعد أول من أدرك هذه الفكرة الوثيقة الصلة بنهضة العلم المادي في عصرنا. ولذلك طرح مالك فكرة أن نتبع أسلوبًا تربويًّا يساعد على غرس قيمة الزمن في العقل الإسلامي, أي في أسلوب الحياة في المجتمع وفي سلوك أفراده, يتمثل في تعليم الطفل والمرأة والرجل تخصيص نصف ساعة يوميًّا لأداء واجب معين لمصلحة المجتمع , فإذا حدث ذلك سيكون لدى كل فرد في نهاية كل عام حصيلة

(٧) ينظر : المصدر نفسه .

هائلة من ساعات العمل لمصلحة الحياة الاجتماعية في جميع أشكالها, وسترتفع كمية حصادنا العقلي واليدوي والروحي؛ وهذه هي الحضارة . ([٨])

فيجب اغتنام الفرص من الحياة من أجل العطاء فإدراك قيمة الوقت فرداً وجماعة هو إدراك لقيمته التي لا تعرض في العملة الوحيدة التي لا تسترد إذا ضاعت إن العملة الذهبية يمكن أن تضيع وأن يجدها المرء بعد ضياعها، ولكن لا تستطيع أي قوة في العالم أن تحطم دقيقة ولا أن تستعيدها إذا مضت . ([٩])

فكل منتج من المنتجات الحضارية تتكون من هذه العناصر الثقة.

ويرى مالك أن الكلمة تعتبر منتوجاً حضارياً ، ثم يقول: (فأنا حينما أحاول التخطيط لحضارة فليس على أن أفكر في منتجاتها، وإنما في أشياء ثلاثة). ([١٠])

ومع ذلك يبين مالك أن هذه العناصر الثلاثة لا تستطيع القيام منفصلة ، وإنما وجب ان يتوفر عامل يجمعها ويمزجها سويا ، وهو " المركب الحضاري " وهذا المركب الذي يرافق الحضارة والتاريخ ويمزج عناصر بنائها وهو سبب نجاحها هو " العقيدة الدينية ، فالحضارة : (لا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي يهبط من السماء يكون للناس شرعة ومنهاجًا, أو هي ـ على الأقل ـ تقوم أسسها في توجيه الناس نحو معبود غيبي بالمعنى العام, فكأنما قدر للإنسان ألا تشرق عليه شمس الحضارة إلا حيث يمتد نظره إلى ما

([٨])ينظر : اتجاهات فكرية معاصرة ، د. محمد هادي شهاب ، نقلاً عن كتاب : بين الرشاد والتيه ، مالك بن نبي ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٧٨م / ٥٩ .

([٩])شروط النهضة / ١٤٥ـ ١٤٦ .

([١٠])تأملات ، مالك بن نبي ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٧٧م . / ١٧١.

وراء حياته الأرضية. وينطبق ذلك على الحضارة البوذية, والحضارة البرهمية .. وكذلك على الحضارة الغربية, والتي يبرز أثر الفكرة المسيحية في تركيبها.) ([11])

أما بخصوص الحضارة الإسلامية فإن أثر الإسلام فيها أشد وضوحاً وأوثق ارتباطًا فقد كانت عناصر الحضارة في جزيرة العرب راكدة خامدة مكدسة لا تؤدي دوراً ما في التاريخ , حتى إذا ما تجلت الروح بغار حراء , نشأت من بين هذه العناصر المكدسة حضارة جديدة, فكأنما ولدتها كلمة «اقرأ» التي أدهشت النبي الأمي وأثارت معه وعليه العالم. فمن تلك اللحظة وثبت القبائل العربية على مسرح التاريخ, حيث ظلت قرونًا طوالاً تحمل للعالم حضارة جديدة, وتقوده إلى التمدن والرقي. ([12])

([11])اعلام وأفكار : مالك بن نبي ، للكاتب : حازم علي مزهر / ٨ .

([12])ينظر :اتجاهات فكرية معاصرة ، د.محمد هادي التكريتي ، نقلاً عن : شروط النهضة ، مالك بن نبي / ٥٧.